التشكيل الصوتي في العربية "دراسة في ياء المتكلِّم"

د. باعث فيصل الحروب *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠١٧/١١/٦م. تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٣/٤م.

ملخص

هدفَ هذا البحثُ إلى الكشفِ عن أسبابِ التغيُّراتِ الصوتيّةِ التي تحدثُ في آخرِ الكلمةِ (اسماً، وفعلاً، وحرفاً) عند اتّصالِ الضميرِ (ياء المتكلِّم) بها، وبيانِ مسوِّغات هذه التغيُّرات.

وعرضَ الباحثُ لآراء القُدامى وبعض الباحثين المعاصرين في هذه القضية، وبيَّنَ وجوهَ الاعتراض عليها، وحاول تفسير هذه التغيُّرات تفسيراً صوتياً يُراعي طبيعةَ التشكيل الصوتي للعربيّة، ونظامِها المقطعي، وفنّدَ اتّصالَ هذا الضّمير بأقسامِ الكلمةِ في العربيّة، ووصفها وصفاً لُغويّاً واقعياً، بعيداً عن تفسيرات القُدامى، ومن تبعَهم من المعاصرين، التي في مجملِها مبنيّة على عدِّ الكسرة الطويلةِ صامتاً، وليست حركةً.

وتوصّلَ الباحثُ إلى أنَّ حِرصَ العربيّ على تحقيق الانسجام الصّوتي في ألفاظِهِ هو الدافعُ وراءَ هذه التغيُّرات التي تجري في حدودِ القوانين الصوتية المُتاحة في العربية.

الكلمات الدالّة: ياء المتكلّم، نون الوقاية، الكسرة الطويلة، شبه الحركة اليائيّة.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البترا.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The Phonetic Formation in Arabic: A Study in the first person (ya)

Dr. Ba'eth Faisal Al-Hroob

Abstract

This study aimed at identifying the reasons for the phonological changes that take place at the end of the word (noun, verb, and letter) when the pronoun (ya) is connected to it, as well as explaining the reasons for these changes.

The researcher introduced the perspectives of the old and contemporary researchers regarding this issue and illustrated the aspects opposing that. The researcher also attempted to interpret these changes phonologically in a manner that takes into consideration the nature of Phonetic formation in Arabic as well as its syllable system in addition to elaborating the connection of this pronoun with the words parts in Arabic and describing them linguistically and logically apart from the previous interpretations and their successors which are based on the long silent "Kasra".

The researcher has concluded that the source of the changes and variations in Arabic sounds is attributed to the tendency of Arabic speakers to achieve a harmony in their verbal production.

Keywords: the first person (ya), prevention (N), long Kasra, semi-ya case mark.

جدول بالرموز الصوتية

الهمزة:	>	الفاء:	f
الباء:	b	القاف:	q
التاء:	t	الكاف:	k
الثاء:	ṯ	اللام:	l
الجيم:	g	الميم:	m
الحاء:	ḥ	النون:	n
الخاء:	ḫ	الهاء:	h
الدال:	d	شبه الحركة الواوية:	y
الذال:	ḏ	شبه الحركة اليائية:	w
الراء:	r	الفتحة القصيرة:	a
الزاي:	z	الفتحة الطويلة:	ā
السين:	s	الضّمة القصيرة:	u
الشين:	š	الضمة الطويلة:	ū
الصاد:	ṡ	الكسرة القصيرة:	i
الضاد:	ḍ	الكسرة الطويلة:	ī
الطاء:	ṭ		
الظاء:	ż		
العين:	<		
الغين:	ġ		

مقدّمة:

إنَّ تفسيرَ النحويين القُدامى للظاهرةِ الصوتيّةِ قد يشوبه بعضُ الخلطِ من وجهةِ نظَرِ علمِ الأصواتِ الحديث، ولعلّ من أسبابِ هذا الخلطِ في بعض الأحيانِ عدم التّفريقِ بين أشباهِ الحركات وحروفِ المدِّ التي هي في حقيقةِ الأمر حركات طويلة.

وقد أدّى مثلُ هذا الخلط إلى تفسير بعض التغيُّراتِ الصوتيّة تفسيراً غير موافقٍ للواقع اللغوي، ممّا يؤدِّي إلى فتح باب التأويل الذي قد يُفضي في نهايةِ الأمر إلى تشتيت الظاهرة، وإطالة الوقوفِ على تفاصيلها، وتعدّدِ وجهات النظر في تحليلها.

ومن الظواهر الصوتيّة التي تأثَّر تفسيرُها بهذا الخلط التغيُّراتُ الطارئةُ في آخر الكلمة عند اتّصال الضمير (ياء المتكلّم) بها، إذ فسّروها انطلاقاً من عدّ ياء المتكلم شبهَ حركةٍ وليست كسرةً طويلةً.

ومن المُحدَثين من تابعَ القُدامى، وسارَ على منهجِهِم في تفسير الظَّاهرة، دونَ الالتفات إلى الفرق بين صوتي الكسرة الطَّويلة، وشبه الحركة اليائيّة، ومنهم مَن التفت إلى الفرقِ بين الصّوتين، إلا أنّهم لم يستفيدوا من هذا التَّفريق في تفسير الظّاهرة، وتحليلها تحليلاً صوتياً مُقنعاً.

واختارت الدِّراسةُ الضَّمير ياء المُتكلِّم؛ لأنّه محلُّ خلاف بين الباحثين القُدامى والمُحدَثين كونه أكثر الضّمائر تعرُّضاً للتغيُّرات الصَّوتيّة.

لذا جاءت هذه الدراسةُ محاولةً تحليلَ هذه التغيُّرات تحليلاً صوتياً، انطلاقاً من عدِّ هذا الضمير كسرةً طويلةً، وليس شبه حركةٍ، ومراعياً طبيعةَ النظامِ المقطعي للكلمة في العربيّة، ومُدركاً حرصَ العربيّ على تحقيق الانسجام الصوتي في ألفاظه.

وارتأى الباحث أن يفسّر التغيُّرات الصوتية المترتّبةَ على إلحاق الضمير (ياء المتكلّم) بآخر الكلمة، ويحلّلها تحليلاً صوتياً في كل قسمٍ من أقسام الكلام بشكلٍ مستقل، مراعاةً لطبيعة التغيير الصوتي الذي يختلف من قسمٍ لآخر، لذا جاءَت الدراسة في ثلاثة محاورٍ، قدّمتُ لها بتمهيدٍ بحثتُ فيه آراء النحويين القدامى، والباحثين المعاصرين في هذه القضية، والردّ عليها.

وبحثتُ في المحور الأول التغيُّرات الصوتية في آخر الاسم الذي تلحقه ياء المتكلم، وفي الثاني التغيُّرات الصوتية في آخر الفعل الذي تلحقه ياء المتكلم، وفي الثالثِ التغيُّراتُ الصوتية في آخر الحرف الذي تلحقه ياء المتكلم.

واللهَ أسألُ أن يكونَ لنا نصيبُ المجتهد من خطأ أو صواب.

تمهيد:

لعلّ الضمير المتصل (ياء المتكلم) من الموضوعات التي شغلت حيّزاً في مؤلفات النّحويين القُدامى؛ وذلك لما يُحدثه هذا الضمير من تغيُّراتٍ في نهاية الكلمة التي يتصل بآخرها اسماً، وفعلاً، وحرفاً، وهي تغيُّرات صوتية آتيةٌ من ضرورة كسر ما قبل الياء؛ لمناسبتها في اللفظ – كما يرى النحويون القُدامى –، وقد جوّزوا كسر آخر الأسماء؛ لأنَّ الأسماء تقبل الجرّ في حالٍ من الأحوال، ومنعوه في الأفعال؛ لأنّ الفعل عندهم لا يأتي مجروراً، ويكادُ يكون الخليلُ بن أحمد أوّلَ من تبنّى هذا الرأي، يتَّضحُ ذلك في ردّه على سيبويه عندما سأله عن الضاربي، جاء في الكتاب لسيبويه: "وسألته – رحمه الله– عن الضاربي، فقال: هذا اسمٌ، ويدخله الجرّ، وإنّما قالوا في الفعل ضربني ويضربني؛ كراهية أن يُدخلوا الكسرة في هذه الياء، كما تدخل في الأسماء، فمنعوا هذا أن يدخله، كما مُنع الجرّ، فإن قلتَ: قد تقولُ: اضربِ الرجلَ فتكسر، فإنّك لم تكسرها كسراً يكون للأسماء، وإنما يكون هذا لالتقاء الساكنَين"(١)، فالخليل يرى أنَّ النون التي تفصلُ بين الفعل وياء المتكلم لوقايته من الكسر الذي لا يسمحون به للأفعال.

وجاء في شرح المفصّل لابن يعيش: "اعلم أنّ ضمير المنصوب إذا كان للمتكلّم واتّصل بالفعل، نحو: ضربني وخاطبني وحدّثني، فالاسم إنّما هو الياء، والنون زيادة، ألا ترى أنّها مفقودة في الجرّ من نحو: غلامي وصاحبي، والمنصوب والمجرور يستويان، وإنّما زادوا النون في المنصوب إذا اتصلَ بالفعل، وقايةً من أن تدخله كسرةٌ لازمة"(٢).

فالنظرُ إلى النون على أنّها زيادة لوقاية الفعل من الكسر رأيٌ سادَ لدى عددٍ من النحويين القُدامى الذين جاؤوا بعد الخليل(٣).

ولعلّ المُتأمِّلَ في هذا الرأي يجدُ بوضوحٍ تأويلاتٍ، وممارساتٍ ذهنيّةً تخرجُ عن حدِّ وصف الواقع اللغوي إلى حدِّ مبالغة النحويين في محاولة حماية قاعدتهم النحوية التي تقضي بمنع كسر الأفعال، وهو مما لا يؤيِّدُه الواقع اللغوي.

---

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان، (ت١٨٠هـ/٧٩٦م): **الكتاب**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٦٩.

(٢) ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء: **شرح المفصل**. قدم له ووضع هوامشه: إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، جـ٢، ص٣٤٧.

(٣) انظر: ابن السّراج، أبو بكر محمد بن سري، (ت٣١٦هـ/٩٢٩م): **الأصول في النّحو**. تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج٢، ص١٢١؛ ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (ت ٧٦١هـ/١٣٦٠م): **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٣٢.

ويُمكنُ تسجيل جملة من الاعتراضات على هذا الرّأي، منها:

أولاً: إنّ قولهم بأنَّ الفعل لا يدخله الكسر مخالفٌ للواقع اللغوي، فالأمرُ من (كتبَ) إذا أُريدَ به المؤنث (اكتبي) بكسر آخره، والأفعال الخمسة المضارعة على وزن (تفعلين)، تظهر الكسرة في آخرها، فتقولُ: تدرسينَ ولن تدرسي، ولم تدرسي، وفعلُ الأمر الذي يُتبع باسم معرّفٍ بأل التعريف يُكسر آخره لمنع التقاء الساكنين، فتقولُ: اكتبِ الدرسَ.

ثانياً: بما أنّ النون دخلت لوقاية الفعل من الكسر – في حدّ رأيهم – لتكون موضعاً للكسر، فلم دخلت بين الفعل المضارع المعتلّ الآخر وياء المتكلم في نحو: يرجو ويلقى، إذ لا يُكسر آخر الفعل إذا اتصلت به ياء المتكلم، فإن قلت يرجويَ ويلقايَ لا تكسِرُ ما قبل الياء.

ثالثاً: إذا كانت النون لوقاية الفعل من الكسر، فلمَ دخلت في أواخر بعض الحروف عند اتّصالها بياء المتكلم، نحو: إنّ، وليت، ولعلّ، وعن، ومن، قال تعالى: {وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام، ١٩]، والأمثلة كثيرةٌ في هذا لسنا بصدد إثباتها هنا.

وبالرُّغم من شيوع هذا الرأي لدى النحويين القُدامى، إلا أنّ بعضهم كان له رأي آخر مفاده أنّ النون والياء كليهما يشكلان الضمير، وليست الياء وحدها ولا يفصلون بينهما، فالضمير هو (ني)، ولعلَّ سيبويه أوّل من أشار إلى هذا، إذ نجده بوضوحٍ في قوله: "اعلم أنّ علامة إضمار المنصوب المتكلم (ني)، وعلامة إضمار المجرور المتكلم (الياء)[١]، وعرض لمجموعةٍ من الأمثلة لاستعمال النوعين، "تقولُ إذا أضمرتَ نفسَك وأنت منصوب: ضربني، وقلتني، وإنّني، ولعلَّني، وتقول إذا أضمرتَ نفسَك مجروراً: غلامي، وعندي، ومعي"[٢].

وبناءً عليه أعرب ابن قتيبة (ني) ضميراً في محل نصب مفعول به، جاءَ في موضعٍ من كتابه (تلقين المتعلّم فن النحو): "وتقولُ: أتيتَ لتكرمني، أتيت، ما هو؟ فعل ماضٍ والتاء هي الفاعلة، لتكرمني، كيف نصبته، هو فعلٌ فانتصبَ باللام المكسورة التي في معنى "كي". ما علامة النصب فيه؟ فتحة الميم، والنون والياء في موضع نصب مفعول بهما"[٣]، وفي موضع آخر "فإذا قلت: ما

(١) سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٢٦٨.

(٢) المصدر السّابق، ج٢، ص٢٦٨ – ص٢٦٩.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): **تلقين المتعلم فن النحو**. تحقيق ودراسة: محمد سلامة هداية الله، رسالة ماجستير، إشراف: يوسف الضّبع، ١٩٨٦، ص١٥٨.

أحسنَ زيداً، كيف تقول لنفسك؟ أقول: ما أحسنني، بالنون والياء، ما محلّهما؟ وقع عليهما التعجب، هو في موضع النصب، وهو اسم مضمر لا يعمل فيه الإعراب"(١).

واعتماداً عليه أعرب ابن خالويه قوله تعالى: {رَبِّي أَكْرَمَنِ} [الفجر، ١٥]، "أكرم: فعل ماضٍ، والنون والياء في موضع نصب"(٢)، وبمثل هذا قال في إعراب قوله تعالى: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر، ٢٥]، فيرى أنَّ الضمير (ني) قد نُصب بليتَ(٣).

ويبدو أنّ هذا الرأي ليس مقنعاً كما هو الرأي الأول، ولعلّ الاعتراض الذي يُمكنُ تسجيله هنا أنّ الضمير يتَّصلُ بالكلمة لغرضٍ دلالي، والغرضُ من ضمير الياء هو الدلالة على المتكلّم، ويؤدي ما يُؤَديه (ني) في الدلالة، فلو قلنا: لعلّي أو لعلّني، فدلالتها واحدة، ويُمكن أن تتحقّق بالياء وحدها، فلماذا النون بما أنّ الياء وحدها قادرة على أداء المعنى يؤيّدُ ذلك ما استقرّ عليه النحويون القدامى من أنّ ضمائر النصب جميعاً توافق ضمائر الجر المتصلة في اللفظ وتشاركُها في الصورة"(٤)، والمعروف كذلك أنّ الضمير المتّصل بحرف الجر يكون في موقع الجر، ومع ذلك جاءت النون قبل ياء المتكلم عند اتصالها بحرفي الجر (من وعن)، مما يُبطل دعوى أن يكون (ني) ضميراً للنصب خاصةً.

وقد نالت هذه القضيّة اهتمامَ الباحثين المعاصرين، إذ طرحوا هذه القضية، وحاولوا الخروج بتفسيراتٍ لها، وانقسموا إثرَ ذلك ثلاثة أقسام:

القسمُ الأوّلُ رفضَ رأي الباحثين القُدامى، ورأى أنَّ النونَ حرفُ عمادٍ قبل العنصر الجوهريّ، وممّن قال هذا الرأي محمد الجرح، إذ يقول: "قد تُستعمل النون كحرف عماد قبل العنصر الجوهريّ في ضمير المتكلّم مثل ضربني، وذلك بدلاً من التاء في مثل كتبتُ، ولا تظهر هذه النون مع الأسماء وبعض الحروف، فتقول: كتابي/يَ، ولإبطال دعوى أنّ هذه النون جاءت لوقاية الفعل من الكسر تجدها تظهر مع عددٍ كبيرٍ من الحروف والأدوات، وتختفي مع بعض الأفعال"(٥) وتبعه في هذا الرأي صلاح رواي(٦).

(١) المصدر السّابق، ص٢٢١.

(٢) ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م): **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م، ص٨٠.

(٣) المرجع السّابق، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، ص٨٤.

(٤) انظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج٢، ص٢٩٩.

(٥) الجرح، محمد سالم: "نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية". **مجلة مجمع اللغة العربية**، الجزء الثاني والعشرون، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٦٦.

(٦) رواي، صلاح: "نون الوقاية ليست للوقاية". **حوليات كلية دار العلوم**، ١٩٨٠م، العدد العاشر، ص١٢٢.

وهذا الرأي قد يُؤَدّي إلى تشتيت الظاهرة، إذ يشوبُهُ عدم الاطّراد، فبما أنَّ الكاف والهاء والياء مثلاً أحرفُ عمادٍ –كما يرون– ، فلمَ تأتي الكاف والهاء قبل العنصر الجوهريّ عندما يلحقُ آخرَ الأفعال والأسماء والحروف، فنقول: سألَكَ، وسؤالكَ، ومنك، وكذلك: سألَه، وسؤاله، ومنه، في حين لا نجد النون حرفَ عمادٍ قبل العنصر الجوهريّ إلا عند اتّصاله بآخر الفعل، أو بعض الحروف، وتخلو منه الأسماء، وبعض الحروف.

وأمّا القسمُ الثاني فقد التزمَ برأي الباحثين القُدامى خاصةً ما أورده سيبويه ومن تبعَهُ في أنّ (ني) ضمير النّصب، وليست الياء وحدها، والنون جزءٌ من الضمير وليست حرفاً للوقاية، وممّن تبنّى هذا الرأي محمد الجبر، يقول معقّباً على كلام سيبويه: "ولقد كان سيبويه على الصواب التام في ذلك، فالظاهرة اللغوية في استعمال النّصب تخالف ما في استعمال الجر، ولقد اكتفى هو – أي سيبويه – بتسجيل الظاهرتين"[١]، وبهذا قال أحمد كشك، إذ يقول بعد عرضه لآراء القدامى في هذه الظاهرة: "هذه احتمالات تدفعنا إلى الإحساس بأنّه لا وقاية هنا، ولا نون تقوم بهذه الوظيفة، وإنّما الموجود هو ضمير المتكلم (ني) في حالة اتّصاله"[٢]، وتابعها في هذا الرأي أحمد عبد الدايم مدعماً الرأي بأمثلةٍ من العبرية وأخرى من اللهجات العامّية تؤيد استعمال (ني) ضمير نصب للمفعوليّة[٣] .

وإذا أعدنا النظرَ في هذا الرأي نجده لا يخرجُ عمّا قاله القدامى، فلم ينظروا إلى الأمر من ناحيةٍ صوتية يراعون فيها حِرص الذوق العربي على تحقيق الانسجام الصوتي.

وأمّا القسم الثالث فقد اهتمَّ بالجانب الصَّوتي لتفسير هذه الظّاهرة، وأدرك هؤلاء الفرقَ بين الكسرة الطَّويلة (ī)، وشبه الحركة اليائيّة (ya)، ورأوا أنّ أصل هذا الضمير (يَ: ya)، ونشأت معه صيغة (الكسرة الطويلة: ī)، التي نشأت عنها (ني: nī)، ومن قال هذا كارل بروكلمان الذي يرى "أنّه قد نشأت في الساميّة الأولى إلى جانب الصِّيغة الأصليّة –(ya)– للمتكلِّم، صيغة أخرى هي(ī)، بسبب نوع آخر من النّبر، ومن هذه الصِّيغة نشأت صيغة الضَّمير المتَّصل بالفعل (nī) بزيادة النون، منعاً لما يُسمَّى (Hiatus)، وهو التقاء حركتين)[٤]، ووافقه هنري فليش في أنّ "(ya) هي الصّيغة القديمة

(١) الجبر، محمد عبد الله، **الضمائر في اللغة العربية**. ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٠–٧١.

(٢) كشك، أحمد، **النحو والسياق الصوتي**. ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٦٩.

(٣) انظر: عبد الدايم، أحمد، "الضمير (ني) من ضمائر النصب والجر في العربية"، **حوليات كلية دار العلوم**، العدد الثالث عشر، ١٩٨٩م، ص٢٧.

(٤) بروكلمان، كارل: **فقه اللغات الساميّة**. ترجمة: رمضان عبدالتواب، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٧م، ص٨٨.

للضَّمير المتَّصل"[١]، " وأنّ مهمّة النون المتَّصلة بالفعل هي في الواقع فاصل يتحاشى الانزلاق بين المصوتين"[٢]، واعتماداً على هذا قامت دراسة الشاذلي الهيشري[٣]، ودراسة سائدة الضمور[٤].

وهذا الرّأي يُحسبُ له الالتفات إلى قضيّة لم يلتفت لها القُدامى وبعض المُحدَثين الذين درسوا الضمير ياء المتكلّم، وهي التفريق بين صوتين مُختلفين هما شبه الحركة اليائيّة، والكسرة الطّويلة، غير أنّ افتراضهم بأنّ (يَ) هي الأصل جعلهم يُحلّلون التغيُّر تحليلاً صوتياً بناءً عليه، فالتحوُّل من الياء إلى الكسرة الطَّويلة عندهم يسيرُ كما هو في المثال الآتي:

كتابِ/يِ ←	كتابِ/ـِـ←	كتابي
ki/tā /bi/yi	ki/tā/bi*/i	ki/tā/bī

فالياء مجرورة بالإضافة (yi)، وقد وقعت بين كسرتين قصيرتين، فحُذفت واندمجت الكسرتان في كسرةٍ طويلةٍ[٥]، وهذا الرأي يُسجَّلُ عليه أنّه لو كانت الياء هي الأصل، فلمَ التحوُّل الاختياري إلى الكسرة الطّويلة بما أنّ الياء مقبولة، والوجهان مُستعملان في اللغة؟ فلو انتبهوا إلى الخَلَل المقطعيّ الناشئ من إلحاق الكسرة الطَّويلة بآخر الكلمة لكانَ من المُمكن أن يفترضوا أنّ الياء هي التي نشأت عن الكسرة الطّويلة.

وهذا يستدعي أن ندرسَ ياء المتكلم، وما يترتّب من تغيُّراتٍ في أواخر الكلمات التي تلحقُ بها دراسةً صوتيةً بوصفها قضيةً صوتيةً بحتةً، تُنبئ عن الذوق العربي، ومطالبته الدائمة بالانسجام الصوتي، وتحقيق التوازن الموسيقي بعيداً عن تحليلات النحويين وتأويلاتهم، ومراعين كذلك طبيعة النظام المقطعي للعربيّة.

إنّ ياء المتكلم ضميرٌ يلحقُ بالكلمة (اسماً، وفعلاً، وحرفاً) ليؤدي غرضاً دلالياً، كغيره من الضمائر في العربية، وهي في الحقيقة كسرة طويلة، وليست صامتاً، مما يترتّب عليه وجود إشكالية صوتية عند وقوعها في مقطع مستقل يلي مقاطع الكلمة المتصلة بها، ومنشأ هذه الإشكالية أنّ

(١) فليش، هنري: **العربيّة الفُصحى: دراسة في البناء اللغوي**. تعريب وتحقيق وتقديم: عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، (د.ت)، ص٢١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١٥.

(٣) انظر: الهيشري، الشاذلي: **الضمير بنيته ودوره في الجملة**. رسالة دكتوراه، إشراف: محمد الهادي الطرابلسي، جامعة منوبة، تونس، ١٩٨٨م، ص١٦٢-١٦٣.

(٤) انظر: الضمور، سائدة مصلح: **التَّشكيل الصَّوتي للضمائر في اللغة العربيّة**. رسالة دكتوراه، إشراف: عبد القادر مرعي، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٩م، ص١١٢-١١٣.

(٥) انظر: الهيشري، **الضمير بنيته ودوره في الجملة**، ص١٦٢-١٦٣.

التشكيل الصوتي للعربية يرفضُ أن يكون المقطع مكوّناً من حركة فقط، فالحدّ الكمي الأدنى للمقطع في العربية أن يتكوَّنَ من حركةٍ واحدة (نواة المقطع)، وصامت واحدٍ على الأقل (حدّ المقطع)[١]، ممّا يجعل العربية تلجأ إلى إجراء تغييرات في آخر الكلمة التي تلحقها الكسرة الطويلة للتخلّص من هذا المقطع.

ولعلّ من المفيد أن ندرس اتّصال هذه الكسرة الطويلة في أقسام الكلمة، كلٌّ قسمٍ على حدة، لأنّه يبدو أنّ هناك خصوصيّة في التعامل مع كل قسمٍ بشكلٍ مختلفٍ عن الآخر عند اتّصاله بهذه الكسرة الطويلة.

اتصال ياء المتكلم بالاسم:

قرّر النحويون القدامى حكمين لياء المتكلم عند اتصالها بالاسم: الحكم الأول هو جواز فتح ياء المتكلم أو تسكينها إذا اتصلت باسم صحيح الآخر أو شبيه بالصحيح، وأمّا الحكم الثاني فهو فتح ياء المتكلم إذا اتصلت باسم مقصور، أو اسم منقوص، أو مثنى، أو جمع مذكر سالم[٢].

ولعلّ هذين الحكمين نابعان من نظرة القدامى إلى أنّ ياء المتكلّم صامتٌ، وليست حركة طويلة، فلم يفرّقوا بين أصوات المدّ وأشباه الحركات، "حتى لقد وصل بهم الأمر إلى القول إنّ (الضمة الطويلة)، أو الواو المدّية هي حرف ساكن غير متحرّك وكذلك الحال بالنسبة للياء المدية أو الكسرة الطويلة التي رُسمت على هيئة الياء تماماً، فهي حرف ساكن غير متحرّك أيضاً"[٣]، ولعلّ هذا الخلط يعود إلى أنَّ الخطّ العربي رسمها بالصورة نفسها، مما انعكس على التفكير الصرفي العربي[٤]، في حين لا يخفى علينا بأنَّ الفرق بين الياء المدية والكسرة هو ليس إلا فرقاً بالكمية، وكذلك الأمر في الواو المدية التي لا تختلف عن الضمة إلا في الكمية[٥]، الأمر الذي أحسّ به بعض القدامى، يقول ابن جني "اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أنّ هذه

(١) انظر: عبابنة، يحيى: **دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية**، ط١، دار الشروق، عمان الأردن، ٢٠٠٠م، ص١٤-٢٠ ؛ الشايب، فوزي: **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة**، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠٠٤م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) انظر: الأزهري، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م): **شرح التصريح على التوضيح**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١/ص٧٣٩.

(٣) عبابنة، يحيى: **الصرف العربي التحليلي نظرات معاصرة**، ط١، دار الكتاب الثقافي، إربد، ٢٠١٧م، ص٢٨.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٧.

(٥) انظر: أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللغوية**. ط١، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت) ص٤٠.

الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[١].

غير أنّ هذا الوصف لحروف المدّ لم يترك أثراً في تحليل القُدامى للقضايا الصرفية فعاملوه معاملةَ الصامت.

وبناءً على ذلك فإنّ ما ذكره القُدامى في الحكم الأول من جواز فتح ياء المتكلم أو تسكينها عند اتصالها بآخر الاسم الصحيح الآخر أو الشبيه بالصحيح هما في الحقيقة خياران لحلّ الإشكالية الصوتية المترتبة على وجود الكسرة الطويلة (ياء المتكلم) في مقطعٍ مستقل يلي مقاطع الاسم الذي تلحقه، إذ إنّ المقطع الصوتي في العربية لا يمكن أن يتشكَّلَ من حركةٍ فقط، فالحدُّ الكمي الأدنى للمقطع أن يتشكَّلَ من حركةٍ وصامتٍ واحدٍ على الأقل، لذا فإنَّ العربية تلجأ لحل هذه الإشكالية، وتصويب النظام المقطعي بطريقتين، هما:

* **الطريقة الأولى:** تتمثّل في قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية، وزيادة فتحة قصيرة بعدَها لتشكّلَ مقطعاً تاماً، وقلب الحركة القصيرة التي هي نواة المقطع الأخير في الاسمين المرفوع والمنصوب كسرةً قصيرةً لمناسبة شبه الحركة اليائية، وهو ما يُعرف بظاهرة الاقتصاد في الجهد العضلي[٢]، ويُمكن توضيح ذلك صوتيّاً بالأمثلة الآتية:

كتابٌ ←	كتابٌ/ي ←	كتابُ/ي ←	كتابُ/يَ ←	كتابِيَ
ki/tā/bun	ki/tā/bun/ī	ki/tā/bu/ī	ki/tā/bu/ya	ki/tā/bi/ya
مرحلة الأصل في الاسم المرفوع	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المرفوع	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة قصيرة	مرحلة قلب الضمة القصيرة في المقطع الأخير من الاسم كسرةً

(١) انظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ) **سر صناعة الإعراب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٣٣.

(٢) تُعرف هذه الظاهرة بأنّها " مبدأٌ في التّعبير عن المقصديّة أو المعنى بصورةٍ أقلّ جُهداً في النُّطق، وأخصر نمطاً أو طريقاً في التّعبير". الياسري، فاخر: **بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي**، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م، ص٤٣.

كتاباً ←	كتاباً/ي ←	كتابَ/ي ←	كتابَ/يَ ←	كتابِيَ
ki/tā/ban	ki/tā/ban/ī	←ki/tā/ba/ī	←ki/tā/ba/ya	ki/tā/bi/ya
مرحلة الأصل في الاسم المنصوب	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المنصوب	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة قصيرة	مرحلة قلب الضمة القصيرة في المقطع الأخير من الاسم كسرةً

كتابٍ ←	كتابٍ/ي ←	كتابِ/ي ←	كتابِيَ
ki/tā/bin	ki/tā/bin/ī	ki/tā/bi/ī	ki/tā/bi/ya
مرحلة الأصل في الاسم المجرور	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المجرور	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية، وإتباعها بفتحة قصيرة

* الطريقة الثانية: تتمثّل في حذف الحركة القصيرة (نواة المقطع الأخير في الاسم)، وضم الكسرة الطويلة للمقطع الأخير منه، ويُمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

كتابٌ ←	كتابٌ/ي ←	كتابُ/ي ←	كتاب/ي ←	كتابي
ki/tā/bun	ki/tā/bun/ī	ki/tā/bu/ī	ki/tā/b/ī	ki/tā/bī
مرحلة الأصل في الاسم المرفوع	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المرفوع	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة حذف الحركة القصيرة من المقطع الأخير في الاسم	مرحلة ضم الكسرة الطويلة للمقطع الأخير في الاسم

كتاباً ←	كتاباً/ي ←	كتابَ/ي ←	كتاب/ي ←	كتابي
ki/tā/ban	ki/tā/ban/ī	ki/tā/ba/ī	ki/tā/b/ī	ki/tā/bī
مرحلة الأصل في الاسم المنصوب	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المنصوب	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة حذف الحركة القصيرة من المقطع الأخير في الاسم	مرحلة ضم الكسرة الطويلة للمقطع الأخير في الاسم

كتابٍ ←	كتابٍ/ي ←	كتابِ/ي ←	كتاب/ي ←	كتابي
ki/tā/bin	ki/tā/bin/ī	ki/tā/bi/ī	ki/tā/b/ī	ki/tā/bī
مرحلة الأصل في الاسم المجرور	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم	مرحلة حذف النون من آخر الاسم للإضافة	مرحلة حذف الحركة القصيرة من المقطع الأخير في الاسم	مرحلة ضم الكسرة الطويلة للمقطع الأخير في الاسم

وعندما يكون الاسم الذي تتصلُ به الكسرة الطويلة مقصوراً، أو منقوصاً، أو مثنىً، أو جمع مذكر سالم، وهذا يعني أنّه ينتهي بحركة طويلة، وهي الفتحة الطويلة في المقصور والمثنى في حالة الرفع، والكسرة الطويلة في الاسم المنقوص، وجمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر، والضمة الطويلة في جمع المذكر السالم في حالة الرفع؛ لذا فإنه من غير الممكن حلّ إشكالية وقوع الكسرة الطويلة في مقطعٍ مستقل بالطريقة الثانية المتمثلة في حذف الحركة الطويلة من آخر الاسم؛ لأن هذه الحركة ليست علامة إعرابية فحسب، بل أصيلة في الاسمين المقصور والمنقوص، وحذفها يُخل بالمعنى، وعلامة تأنيث في المثنى، وعلامة جمع في جمع المذكر السالم. وحذفها ينقل الاسم من الدلالة على الاثنين أو الجماعة إلى الدلالة على المفرد.

وبذلك تكون الطريقة الأولى المتمثلة في قلب الكسرة الطويلة شبه حركةٍ يائية، وإضافة فتحة قصيرة بعدها، هي الحل الوحيد للتخلُّص من إشكالية وقوع الكسرة الطويلة في مقطع مستقل، زادوا على ذلك إقحام شبه حركة يائية في آخر مقاطع الاسم الذي لحقته الكسرة الطويلة إذا انتهى بكسرةٍ طويلة، أو ضمةٍ طويلةٍ، ويُمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: الاسم المنتهي بالفتحة الطويلة (الاسم المقصور، المثنى في حالة الرفع):

لجأت العربية عند إلحاق الكسرة الطويلة بأواخر هذه الأسماء إلى إضافة الفتحة القصيرة إلى مقطع الكسرة الطويلة، بعد قلبها إلى شبه حركة يائية، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

رجوى ←	رجوى/ ي ←	رجوايَ
rag/wā	rag/wā/ī	rag/wā/ya
مرحلة الأصل في الاسم المقصور	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المقصور	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحةٍ قصيرة

رجلانِ ←	رجلانِ/ي ←	رجلا/ي ←	رجلايَ
ra/gu/lā/ni	ra/gu/lā/ni/ī	ra/gu/lā/ī	ra/gu/lā/ya
مرحلة الأصل في المثنى المرفوع	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر المثنى المرفوع	مرحلة حذف مقطع النون وحركته القصيرة للإضافة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحةٍ قصيرة

ثانياً: الاسم المنتهي بالكسرة الطويلة (الاسم المنقوص، جمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر).

والحالُ هنا لا يختلف كثيراً عمّا يحدث من تغيُّرات في آخر الاسم المقصور، والمثنى في حالة الرّفع عند إلحاق الكسرة الطويلة بهما إلا في إقحام شبه حركة يائية في نهاية المقطع الأخير للاسم مع تقصير حركته بعد قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية متبوعة بفتحةٍ قصيرة، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

رامي ←	رامي/ي ←	رامي/يَ ←	راميَّ
rā/mī	rā/mī/ī	rā/m/ī/ya	rā/miy/ya
مرحلة الأصل في الاسم المنقوص	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر الاسم المنقوص	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة	مرحلة إقحام شبه حركة يائية في المقطع الأخير من الاسم وتقصير حركته الطويلة

كاتبينَ ←	كاتبين/ي ←	كاتبي/ي ←	كاتبي/يَ ←	كاتبيّ
kā/ti/ bī /na	ka/ti/bī/na/ī	kā/ti/bī/ī	kā/ti/bī/ya	kā/ti/biy/ya
مرحلة الأصل في جمع المذكر السالم المنصوب أو المجرور	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر جمع المذكر السالم	مرحلة حذف مقطع النون وحركته للإضافة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة	مرحلة إقحام شبه حركة يائية في المقطع الأخير من الاسم وتقصير حركته الطويلة

ثالثاً: الاسم المنتهي بالضمّة الطويلة (جمع المذكر السالم في حالة الرفع):

ولا يختلف الأمر فيه كثيراً عمّا سبق إلا في قلب الضمة الطويلة في آخر جمع المذكر السالم المرفوع كسرةً قصيرة، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

كاتبونَ←	كاتبون/ي←	كاتبو/ي←	كاتبو/يَ←	كاتبوي/يَ←	كاتبيّ
kā/ti/bū/na	kā/ti/bū/na/ī	kā/ti/bū/ī	kā/ti/bū/ya	kā/ti/būy/ya	kā/ti/biy/ya
مرحلة الأصل في جمع المذكر السالم المرفوع	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بآخر جمع المذكر السالم المرفوع	مرحلة حذف مقطع النون وحركته للإضافة	مرحلة قلب الكسرةالطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة قصيرة	مرحلة إقحام شبه الحركة اليائية في المقطع الأخير من الاسم وتقصير حركته	مرحلة قلب الفتحةالطويلة في المقطع الأخيرمن الاسم كسرةً قصيرةً

وأمّا المثنى في حالتي النصب والجر فأمره مختلف رغم عدم فصله عن المثنى المرفوع عند النحويين القُدامى، إذ إنّه ينتهي بشبه حركةٍ يائيةٍ، وليس حركةٍ طويلة، وعند اتّصال الكسرة الطويلة بآخره فإنّ العربية تلجأ إلى قلب الكسرة الطويلة شبه حركةٍ يائية، وإتباعها بفتحةٍ قصيرة. ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

كاتبَينَ ←	كاتبَينِ/ي ←	كاتبَي/ي ←	كاتبَيَّ
kā/ti/bay/ni	kā/ti/bay/ni/ī	kā/ti/bay/ī	kā/ti/bay/ya
مرحلة الأصل في المثنى المجرور والمنصوب	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالمثنى المجرور والمنصوب	مرحلة حذف مقطع النون وحركته للإضافة	مرحلة إقحام شبه الحركة اليائية في المقطع الأخير للاسم

وبهذا يمكن تفسير حذف الحركات الطويلة من آخر الأسماء الخمسة عند إلحاق الكسرة الطويلة بها، ومعاملتها معاملةَ الاسم الصحيح الآخر، إذ إنّ هذه الحركات علامات إعرابية فقط، خلافاً للمثنى وجمع المذكر السالم اللذين تمثّل الحركة الطويلة في آخرهما علامة التأنيث، وعلامة الجمع ولا يمكن حذفها والاستغناء عنها.

اتصال ياء المتكلّم بالفعل:

يرى النحويّون القُدامى – كما أشرنا في بداية البحث – أنّ اتصال ياء المتكلم بأواخر الأفعال يستلزم إضافة النون قبلها؛ لوقاية الفعل من الكسر، في حين يفرضُ علينا الواقع اللغوي القولَ بأنّ هذه النون تأتي قبل ياء المتكلم؛ لتصويب النظام المقطعي، وحلّ الإشكالية الصوتية المُتأتيّة من وقوع الكسرة الطويلة في مقطعٍ مستقلٍّ يتلو مقاطعَ الفعل الأصلية.

ولعلّ إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة طريقةٌ ثالثةٌ امتازت بها الأفعال عن الأسماء؛ لأمن اللبس بينهما، ولو اتُّبع في الفعل ما اتُّبع في الاسم لأدّى ذلك إلى:

- التباس أمر المذكر بأمر المؤنث، لو قيل: أكرمي
- التباس ياء المتكلم بياء المخاطبة.
- التباس الفعل بالاسم في نحو: ضربني، إذ الضّرب اسمٌ للعسل، وقد لحق الكسر الفعل في نحو: أكرمي، ولم يبال به[1].
- التباس اسم الفاعل من الفعل الثلاثي بفعل الأمر من الفعل الرباعي على وزن (فاعَلَ).

(١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر، (د.ت)، ج١، ص٢٥٥.

ولأمنِ اللبسِ بين الاسم والفعل لجأت العربية إلى هذه الطريقة التي تتمثَّلُ في إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة، ليُصبح المقطع مُشكّلاً من حركةٍ وصامت، وهو الحدّ الكمي الأدنى للمقطع، ويُمكن توضيح ذلك بالأمثلة الآتيةَ:

فهمَ ←	فهمَ/ي ←	فهمَني
fa/hi/ma	fa/hi/ma/ī	fa/hi/ma/nī
مرحلة الأصل في الفعل الماضي المُنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

دعا ←	دعا/ي ←	دعاني
da/<ā	da/<ā/ī	da/<ā/nī
مرحلة الأصل في الفعل الماضي المنتهي بحركة طويلة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة
يفهمُ ←	يفهمُ/ي ←	يفهمُني
yaf/ha/mu	yaf/ha/mu/ī	yaf/ha/mu/nī
مرحلة الأصل في الفعل المضارع المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطعالكسرة الطويلة

يدعو ←	يدعو/ي ←	يدعوني
yad/<ū	yad/<ū/ī	yad/<ū/nī
مرحلة الأصل في الفعل المضارع المنتهي بحركة طويلة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل المضارع	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

يدعون ←	يدعونَ/ي ←	يدعونَني
yad/<ū/na	yad/<ū/na/ī	yad/<ū/na/nī
مرحلة الأصل في الفعل المضارع (الأفعال الخمسة)	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

افهم ←	افهم/ي ←	افهمني
>if/ham	>if/ham/ī	>if/ham/nī
مرحلة الأصل في الفعل الأمر المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

ادعُ ←	ادعُ/ي ←	ادعُني
>ud/<u	>ud/<u/ī	>ud/<u/nī
مرحلة الأصل في الفعل الأمر المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالفعل	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

اتصال ياء المتكلّم بالحرف:

التفتَ القدامى لقضية إلحاق نون الوقاية ببعض الحروف عند اتّصالها بياء المتكلم، وفسّروا اتّصال هذه النون بالحروف الناسخة كونها مشبّهةً بالأفعال، جاء في شرح المفصل لابن يعيش: "وقد أدخلوا هذه النون مع إنّ وأخواتها، فقالوا: إنّني، وأنّني، وكأنّني، ولكنّني وليتني، ولعلّني؛ لأنّها حروف أشبَهت الأفعال، وأُجريت مجراها، فلزمها من علامة الضمير ما يلزم الفعل"(١).

(١) ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج٢، ص٣٤٨.

في حين فسّروا اتصال هذه النون بحرفي الجر: من، وعن على أنّه من باب المحافظة على سكون النون الأصلية فيهما، يقول المبرّد: "زادوا النون ليسلمَ ما قبلها على سكونه كما سلِمَ الفعلُ على فتحِهِ، فقد زيدت في المجرور كما زيدت في المنصوب"(١)، وجاء في شرح الأشموني: "والكثير منّي وعنّي بثبوت نون الوقاية، وإنّما لحقت نون الوقاية (من وعن) لحفظ البناء على السكون"(٢).

ويبدو أنّ هذا التفسير غير مقنع، وفيه ليٌّ للواقع اللغوي لمصلحة التنظيم القواعدي، فلو كان الأمر كذلك، فلِمَ لَمْ تنتظم هذه الحروف بزيادة النون في آخرها؛ للفصل بينها وبين ياء المتكلم، فالعربُ في كلامهم يلحقون ياء المتكلم بهذه الحروف دون إقحام النون قبلها، قال زيد الخيل الطائي(٣):

كمُنيـــةِ جـــابرٍ إذْ قـــالَ لَيْتـــي أُصـــادِفُهُ وأُتلـــفُ جُـــلَّ مـــالي

وقال حاتم الطائي(٤) :

أَرينـــي جَـــواداً مـــاتَ هَـــزْلاً لَعَلَّنـــي أرى مـــا تَـــرَيْنَ أو بَخـــيلاً مُخَلَّـــدا

وقد يُقحمون النون قبلها ، قال تعالى: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} [النساء، ٧٣].
وقال العبّاس بن الأحنف(٥):

أسِربَ القَطا هل مِن مُعيرٍ جَناحَه لَعَلّـي إلـى مَـن قَـد هَوِيـتُ أطيـرُ؟

وكذا الأمر في بعض الحروف، يقول ابن مالك في ألفيته(٦):

وليتنـــي فشـــا وليتـــي نـــدرا ومـع لعـلّ اعكس وكـن مُخيّرا

(١) المبرّد، محمد بن يزيد، (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م): **المقتضب**. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت ، ج١، ص٢٤٩.

(٢) الأشموني، علي بن محمد، (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م): **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص١٠٥.

(٣) البزرة، أحمد مختار: **شعر زيد الخيل الطائي جمع ودراسة وتحقيق**. ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ١٩٨٨م، ص١٣٧.

(٤) الطائي، حاتم: **الديوان. تحقيق:عادل سليمان جمال**، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، ص٢٣٠.

(٥) ابن الأحنف، العبّاس: **الديوان**. تحقيق: عاتكة الخزرجي، ط١، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٤٣.

(٦) ابن مالك، جمال الدين الطائي، (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م): ألفية ابن مالك في النحو والصرف. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٣.

والسؤال هُنا: هل الحروف الناسخة تشبه الفعل في موقع، ولا تشبهه في آخر؟ وما مقياس الندرة والكثرة لديهم؟

والرأي هنا أنّ الحرف بمنأىً عن اللبس مع الاسم والفعل، لذا كانت الطرق الثلاثة التي ذكرناها اختياراً يمكن به حلّ إشكالية المقطع الصوتي المتمثّلة في وقوع الكسرة الطويلة في مقطعٍ مستقل عند اتصالها بأواخر الحروف.

وبهذا يمكن تفسير الأحكام المتعددة بالشذوذ، والقلّة، والندرة، والكثرة وغيرها التي أطلقها النحويون القدامى على هذه الحروف عند اتصالها بياء المتكلم، ونكتفي منها بالقول: إنّ العربية أدخلت هذه النون بين الحرف وياء المتكلم حيناً، ولم تدخلها حيناً آخر، فإذا كان الحرف منتهياً بحركة قصيرة وألحقت به الكسرة الطويلة، أقحموا النون في مقطع الكسرة الطويلة لتشكل مقطعاً تاماً يتكون من صامتٍ وحركة، أو ضمّوا الكسرة الطويلة للمقطع الأخير من الحرف بعد حذف حركته القصيرة، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

إنّ ←	إنَّ/ي ←	إنّني
>in/na	>in/na/ī	>in/na/nī
مرحلة الأصل في الحرف المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالحرف المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إقحام النون في مقطع الكسرة الطويلة

إنّ ←	إنَّ/ي ←	إنّي
>in/na	>in/na/ī	>in/ nī
مرحلة الأصل في الحرف المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة إلحاق ياء المتكلم بالحرف المنتهي بحركة قصيرة	مرحلة ضم الكسرة الطويلة للمقطع الأخير من الحرف وحذف حركتها لقصيرة

وأمّا إذا انتهى الحرف بحركةٍ طويلة نحو (إلى، في، على)، فإنها تعامل معاملة الأسماء المنتهية بحركة طويلة نحو (رجلان)، و(كاتبين)، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كما يأتي:

على ←	على/ي ←	على/يَ ←	عليَّ
>a/lā	>a/lā/ī	>a/lā/ya	>a/lay/ya
مرحلة الأصل في الحرف المنتهي بحركة طويلة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالحرف المنتهي بحركة طويلة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحةٍ قصيرةٍ	مرحلة إقحام شبه الحركة اليائية في المقطع الأخير للحرف

ولا تعامل (على) معاملة الاسم المنتهي بفتحةٍ طويلة، وإنما تُعامل معاملة الاسم المنتهي بكسرةٍ طويلةٍ نحو قاضي، إذ إنّ شبه الحركة اليائية تُقحم في آخر المقطع الأخير من الحرف عند اتصاله بكل الضمائر، فنقول: عليك(a/lay/ka>)، وعليهم(a/lay/him>)... إلى آخره.

في ←	في/ي ←	في/يَ ←	فيَّ
Fī	fī/ī	fī/ya	fiy/ya
مرحلة الأصل في الحرف المنتهي بحركة طويلة	مرحلة إلحاق الكسرة الطويلة بالحرف المنتهي بحركة طويلة	مرحلة قلب الكسرة الطويلة شبه حركة يائية وإتباعها بفتحة قصيرة	مرحلة إقحام شبه الحركة اليائية في المقطع الأخير للحرف

وعندما تستعملُ بعض اللهجات العامية المعاصرة (فيني) بدلاً من (فيّ) فإنها تدرك المساحة المتاحة أمامها لحل الإشكالية الصوتية عند اتّصال الكسرة الطويلة بآخر الكلام في العربية، فهي تستعمل اختياراً متاحاً في العربية.

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث، وبعد التحليل الصوتي لهذه الظاهرة، يتبَيّنُ لنا ما يأتي:

١. إنّ إحداث تغييرات صوتية في آخر الكلمة التي يتّصل بها الضمير (ياء المتكلّم) تدلُّ على اهتمام العربي، وحرصه على تحقيق الانسجام الصوتي، إذ إنّ هذه التغيُّرات كانت ضرورية للحفاظ على التوازن الموسيقي في ألفاظ العربية، وليست التغيُّرات حكراً على هذه الحالة، إذ نجدها في كلِ أمرٍ يتطلَّبُ التغيير لتحقيق الانسجام كالإبدال، والإعلال، وغيرهما.
٢. إنّ الهدفَ من هذه التغيُّرات هو حلّ الإشكالية الصوتية المترتبة على وجود كسرةٍ طويلةٍ في مقطعٍ مستقلٍّ يلي المقاطع الأصلية للكلمة، حفاظاً على طبيعة النظام المقطعي للعربية، الذي يفرض أن يتكون المقطع من حركةٍ وصامتٍ واحدٍ على الأقل.

٣. جاءَت هذه التغيُّرات بطريقين في الاسم، وذلك حسب نهاية المقطع الأخير منه، فعندما ينتهي الاسم بحركةٍ قصيرةٍ تُحلُ الإشكالية بطريقةٍ تختلفُ عن الاسم الذي ينتهي بحركةٍ طويلةٍ، فطبيعة الحركة التي ينتهي بها المقطع الأخير في الاسم تفرضُ نوعاً من الحلول الصوتيّة، وجاءت في الفعل بطريقٍ واحدٍ يختلفُ عمّا جاء في الأسماء؛ لأمن اللبس بينهما، في حين حُلَّت الإشكالية في الحروف بالطرق الثلاثة التي جاءَت اثنتان منها في الاسم، وواحدة في الفعل.

٤. إنّ تأويلات النحويين القُدامى لهذه القضية مصدرها الخلط بين الحركة الطويلة، وشبه الحركة، إذ ترتَّبَ على هذا الخلط عدّ هذا الضمير (ياء المتكلم) صامتاً، ويبدو ذلك في قولهم بجوازِ تسكينه، باعتبار أنّه صامت يقبل الحركة، أو عدمها.